حقيقة الشيطان في القرآن الكريم

م.م. كرار جبار حسوني¹ ، م.م. مشرق صباح كاظم²

المستخلص

الشيطان هو أكبر عدو للإنسان وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتخذة عدواً ، وهو تجسيد لكل عمل او فعل منسوب إلى الشر ، بل وينظر إلى الشيطان بأنه قوة مدمرة ومعادية للإنسان عامة وللمؤمن خاصة أن وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة ، فإن من الناس من رأهم ، وفيهم من رأى من رأهم ، وثبت ذلك عنده باليقين والخبر ومن الناس من كلموه وكلمهم، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم: وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدق بما يخبر به والجان المؤمنين ملزمون بأعمال زائدة على التصديق ، ومنهين عن أعمال غير التكذيب، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركو الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحریم، وهذا مالم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين وكذلك لم يتنازعو أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار، كما يدخلها من الأدميين، لكن تنازعو في أهل الإيمان منهم، فذهب الجمهور إلى أنهم يدخلون الجنة، ومنهم من قال: أنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم . وذهب قوم إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كالبهائم ، ويكون ثوابهم النجاة من النار.

الكلمات المفتاحية: الشيطان، الصد عن ذكر الله، المؤمنون

The Truth about Satan in the Holy Quran

Assis. Lec. Karar Jabbar Hassouni¹ , Assis. Lec. Mashreq Sabah Kazem²

Abstract

Almighty has commanded us to regard him as an enemy. He is the embodiment of every deed or deed attributed to evil. Satan is even seen as a destructive force that is hostile to mankind in general and to the believer in particular. The presence of the jinn is proven in many ways other than the evidence of the Qur'an and Sunnah. Whoever saw them, and among them were those who saw those who saw them, and that was proven to him with certainty and news, and from the people who spoke to him and he spoke to them, and from the people who commanded them and forbade them and disposed of them: and this applies to the righteous and not the righteous, but relying on scientific answers is on what people share in their knowledge, not on what His knowledge is limited to the one who answers, except that the answer is for the one who believes him in what he informs, and the believing jinn are obligated to perform deeds that are additional to the belief They are forbidden from actions other than disbelief. They are commanded to follow the principles and branches according to them. They are not similar to humans in terms of punishment and reality, so what they command and prohibit is not equal to what humans are required to do in terms of punishment. However, they share with humans in the type of obligation to command and prohibit, and permissibility and prohibition, and this is what I did not know about. There was a dispute between Muslims, and they did not dispute that the people of disbelief, immorality, and disobedience among them deserved the torment of Hell, just as humans enter it. However, they disagreed regarding the people of faith among them, so the majority held that they would enter Paradise, and among them were those who said: They would be in the outskirts of Paradise, and humans would see them from where they are not. They see them. Some people said that the obedient ones among them would become dust like animals, and their reward would be salvation from the Fire.

Keywords: Satan, Preventing believers from remembering God, Believers

انتساب الباحثين

¹ مديرة تربية واسط، العراق، واسط
52001

² كلية الامام جعفر الصادق - فرع ذي
قار، العراق، ذي قار، 64001

¹ alwoduy@gmail.com

² mushriqsabah1991@gmail.com

¹ المؤلف المراسل

معلومات البحث

تاريخ النشر: حزيران 2025

Affiliations of Authors

¹ Wasit Education Directorate,
Wasit, Iraq.

² Imam Jaafar Al-Sadiq
College -Dhi Qar Branch, Iraq
Dhi Qar, 64001

¹ alwoduy@gmail.com

² mushriqsabah1991@gmail.com

¹ Corresponding Author

Paper Info.

Published: Jun. 2025

المقدمة

ان هذا الموضوع الذي بين أيدينا يتحدث عن الشيطان وحقيقة في القرآن الكريم، كما أنه يستعرض الشواهد القرآنية لمعرفة حقيقته في القرآن الكريم في العشرات من الآيات المباركات.

جهلنا بالشيء لا يدل على عدم وجوده. فمن هم؟

انهم جزء من عالم الغيب لأننا لا نراهم.

ومن يملك إمكانية أخبارنا عنهم بشكل يقيني؟

لا أحد، الا من يستطيع التعامل مع هذا الكون بأفق شمولي! وهذا الاقتدار لا يتصف به أحد بشكل تام وحقيقي الا مبدع الكون كله المتحكم الأوحده فيه، الذي خلق كل شيء ويقوم على تدبير كل شيء ويتفرد بسلطان أرادته فيخضع له كل شيء...

ومن هذا يتبين لنا أن وحي الله (جل وعلا) هو وحده المصدر الموثوق المؤهل للكلام من أفق شمولي مطلق، وأن مقرراته عما نراه وما لا نراه هي حقائق لا يرقى إليها الشك ولا يليق بالعقل الا أن يأخذها مسلمات.

فماذا نجد في الأعلام الإلهي؟

الجن كما يقرر القرآن عالم عاقل مرید مكلف كما هو الإنسان، غير أن مادة خلقهم وخصائص هياتهم تختلف عما هو عليه البشر، وبما يتعذر على حواس الأدميين رؤيتهم. الإيمان بعالم الجن يكفينا بشأنه ما ورد في القرآن الكريم، غير أنه لا بأس ان قال العلم المادي كلمة لا تمس حرمة الغيب ولا تخرج عن حدود التعامل معه وأردنا الاستئناس بها!

فماذا قال علماء المادة في العصر الحديث...؟

(ان من أهم ما اكتشفه العلم وتوصل اليه العلماء في ميادين البحوث العلمية التي تختص بالذرة وطاقتها ومكوناتها وجود عالم غير مرئي تشير اليه الأجهزة العلمية وتؤكد القياسات العلمية، ولكن لا يعرف العلم عنه شيئاً إلا البعض اليسير الذي يزيده غموضاً ويزيد من جهل الناس به، إذ كل ما توصل اليه العلم عنه أن هذا العالم تسكنه مخلوقات غير مرئية، تتكون من مادة غير المادة التي نعرفها والتي يتكون منها عالمنا المرئي، وأن هذه المادة التي يتكون منها سكان العالم غير المرئي علاوة على طبيعتها الخاصة التي تجعلها غير مرئية لنا فإنها ذات حرارة رهيبه لم يمكن بعد معرفة درجتها، وأنه أمكن في ظروف معينة التأكد من إشعاعات وأضواء الطاقة الحرارية المنبعثة من أجسام هذه المخلوقات⁽¹⁾. ان مسألة الحواس المحدودة الاقتدار والقصور المدى عند الإنسان ينبغي أن نتعامل معها بواقعية وأنصاف وتجرد من الهوى والغرض حتى لا نغبط الكثير من الحقائق الموجودة

التي لا نراها وتعجز حواسنا عن الوقوف عليها، وبالتالي يمكننا التعامل مع أعظم قدر من الحقائق المشاهدة وغير المشاهدة أن نتفاعل مع الكون بأوسع إطار وأضخم منافع وأطول مدى.

ويبدو أن قسماً من علماء الماديات في العصر الحالي أخذ يميل الى هذا التحوط، وبدأ السير في هذا الطريق. لقد أصبح معروفاً عن طريق العلم والدين أن هناك حدوداً كونية لا تطبق حواسنا ادراك ما وراءها، ولا يتسنى للعقل اجتيازها لمعرفة ما هنالك من حقائق العلم .. ذلك أن في هذا العالم من الأشعة الكونية مالا يحيط بعلمه إلا الله، وأن حواسنا خصت من تلك الأشعة بحيز ضيق جداً لا تستطيع تجاوزه، فاذا كنا نرى شيئاً أو نسمعه فانا لا نرى الا ما تصل اليها ذبذباته وتموجاته التي تحدثها تلك الأشعة.. أما ما يقع فوق هذا الحيز الضيق وأسفله من سائر الأشعة فأماد شاسعة لا تستطيع حواسنا أن تستجيب لشيء من ذبذباته، لأنها لم تهيأ إلا للاستجابة لما في حيزها هذا الضيق المحصور.

والعلم لا يجحد أن في الكون كائنات غير مرئية لنا، ولا يجحد أن فيه أصواتاً غير مسموعة لأذاننا.

ولا يسبق الى ذهن احدنا أننا نعني تلك الأصوات البعيدة التي يمكن التحايل على سماعها بالوسائل العلمية (كالتلفون والراديو) ونحوهما إنما نعني أصواتاً قد تكون أقرب إلينا من أي صوت آخر ولا نسمعها، لا لخفاء جرسها بل لعجز طاقة السمع عن الاستجابة لذبذبتها .. ! وكما يكون هذا في الأصوات غير المسموعة يكون في الكائنات غير المرئية، فقد يكون الشيء قريباً منا ومع ذلك لا نراه، لا لأنه يحتاج الى (مكرسكوب) أو نحوه، بل لأنه ذو تموجات من قياس لا يتناسب البتة مع ما تستجيب له حاسة الإبصار عندها.

ومهما يكن من شيء، فان العلم لا ينكر الجن ولا ينكر الملائكة لأنه لا ينكر وجود أصوات لا نسمعها، ولا مرئيات لا نستطيع أن نراها بما لنا من حاسة عادية⁽²⁾.

إن هدف هذا البحث هو التعرف على الشيطان كيف نشخصه؟

من هو الشيطان؟ ما دور الشيطان في حياة الإنسان؟ كيف يؤثر فيه؟ كيف يخرج من عز الطاعة إلى ذل المعصية؟ الحديث عن الجن بوصف الشيطان كان من الجن.

الدراسات السابقة

أغلب الأبحاث القرآنية تناولت حقيقة الشيطان في القرآن الكريم، لكن لم تتحدث عن الاستحواذ على الأدميين والصد عن ذكر الله

سبحانه وتعالى والصد عن ذكر الله، بل تحدثت عن الفرق بين

الشيطان وإبليس والجن.

فقرات البحث

المبحث الأول: الفرق بين الجن، الشيطان، إبليس.

المطلب الأول: الجن.

المطلب الثاني: الشيطان لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: إبليس لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: الفرق بين الشيطان والجن.

المبحث الثاني: حدود العلاقة بين الشيطان والإنسان

المبحث الأول: الفرق بين الجن، الشيطان، إبليس

المطلب الأول: الجن

مادة خلقهم

يقول تعالى: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ○ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ)⁽³⁾

ان مادة خلقهم تختلف عن مادة خلق الإنسان.. وقدرة الخالق الأوحد تصنع العجائب وتفعل ما تشاء لا يستعصي عليها شيء مهما يكن البشر خلقوا بالأصل من مادة الطين فصاروا الذي نراه عالماً يتحدث عن الأبداع الإلهي بالعظمة والجلال، والجن خلقوا من مادة النار وتحديداً من لهبها فاستوى شأنهم وصاروا كبنى آدم من حيث العقل والإرادة والتكليف.

وخلق الملائكة من النور تنوع آخر في أفعال القدرة العليا وربما يرد هنا تساؤل مفاده: الجن يشاركوننا العيش في الأرض.. كيف إذن لا يحترق كل شيء قابل للاقتاد طالما أن هذا الصنف من المخلوقات قد خلق من لهب النار...؟

وتساؤل آخر: لما كان الملائكة قد خلقوا من النور فلم إذن لا نحس بوجودهم في الظلام مثلاً، كأن تنجلي الظلمة في الأماكن التي يمرن فيها، خاصة أن أرضنا تمتلئ بالملائكة الكرام قياماً منهم بالعديد من المهام التي ذكرها القرآن...؟

هكذا نتساءل بحكم مألوفنا الإنسانية التي نحسب أحياناً متوهمين ضرورة تعميمها في كل الكون..!

ان خصائص الأشياء خاضعة لخالق يتحكم بها كيف يشاء وبما يؤدي الأمر الى عوالم لا اختلاف فيها ولا تضارب وتتضافر

جميعها لتحصيل مقاصد الحكمة العليا..!

ولما كان الله تعالى قد اعطى الطين خصائص معينة فتحول بعضهم اقتداره الى إنسان سوي صارت له خصائص معينة أيضاً، فهو وحده كذلك القادر على التحكم بهذه الخصائص وتكييفها وفق مشيئته وهكذا الأمر بالنسبة للجن والملائكة وغيرهما..!

نعم.. ان التحكم بخصائص الأشياء لا يقدر عليه الا الخالق، والأمر ليس رهين مألوفنا وما نسيغ، وانما هو متعلق بمقتضيات حكمته عز وجل، وفي دنيانا قد حصلت أمثلة على ذلك كمعجزة النبي إبراهيم(ع) عندما ألقاه عابو الأصنام في النار فجعلها الله تعالى برداً على رسوله وسلاماً لأجل حكمة أراد ربنا سبحانه تحقيقها (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ)⁴ (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)⁽⁵⁾

الزواج و التناسل في عالم الجن

والجن فيهم الذكور والإناث، أي أنهم يتزاوجون ولهم ذرية أيضاً وان كنا لانعرف تفاصيل أكثر من هذا يقول تعالى: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)⁽⁶⁾.. إن الإشارة هنا الى (رجال من الجن) تدل على أن هناك ما يقابلهم ضمن جنسهم وهو الإناث، لاسيما أن هناك آيات أخرى تعضد هذا المعنى وتكمله، منها: (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)⁷ ففي الآية إيماء إلى قابلية الجن على مقاربة النساء وبالتالي الإشارة الى تزواج الجن في عالمهم لان طبيعة خلقهم تحتمل هذا الفعل، ولو لم تكن كذلك قبلهم ولا جان...! لما كان ثمة داع الى ذكرهم في الآية الى جوار الإنس « لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان... » أما الآية الأخرى المكملة لمعنى وجود الذكور والإناث والتزاوج في عالم الجن فهي تلك التي أشير فيها الى وجود الذرية يقول تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَدُرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)⁽⁸⁾

خلق الجن قبل الأدميين

خلق الجن قد سبق إيجاد آدم.. يقول تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلِ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ)⁽⁹⁾ ولكون خلقهم قد بدأ قبل خلق الأدميين ولأنهم يتناسلون لذا فهم أكثر عدداً من بني الإنسان كما نلاحظ.

إمكانات الجن

ان قواهم الجسمية أكبر مما لدى البشر.. يقول تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفَرْتُ مَنِ الْجِنَّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) (10). النبي سليمان (ع) أراد أن يحضر عرش ملكة سبأ في اليمن قبل أن تصل الملكة وقومها الى قصره مسلمين في فلسطين ، حتى يريهم بذلك معجزة تضاف الى معجزة الهدد الذي أخبره بشأنهم فيستشعروا اليقين برسالته عن اختيار وقناعة بدل أن يؤمنوا تحت تأثير هيئة السلطان ورهبة الاقتدار الواسع فتطوع لأداء المهمة أحد الجن الذين سخرها لهذا الرسول الكريم ، وقول الجني بأنه يستطيع إحضار عرش الملكة قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مقامه أي خلال بضع ساعات يدل على أن لديه من القدرة على الفعل وسرعة الانتقال ويسر الحركة ما يفوق الاقتدار البشري المتعارف عليه .

والجن يمكنهم القيام بأدوار عدة كما يفهم من النصوص القرآنية: (وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) (11) وقوله تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ وَآخَرِينَ مَقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (12).

وللجن إمكانية تجاوز آفاق الأرض والتجول في السماء، ولكن لا يسمح لهم بمجاوزة الحد المرسوم يقول تعالى: (وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيئَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهِيًا.. وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) (13).

ويفهم من النصوص القرآنية أن لهم إمكانية العيش فوق كوكبنا وخارجه، فهم قد سخرها للنبي سليمان (ع)، وساحوا في السماء محاولين استراق السمع . ومن إمكاناتهم التي أثبتتها القرآن أنهم يفهمون كلام أهل الأرض، بدليل أنهم سمعوا القرآن يتلى بالعربية فعرفوا مغزى ما فيه. فهذا النص القرآني يدل على أنهم قد خلقوا لغرض التكليف العبادي، ومثلهم في هذا لا يختلف عن بني آدم الذين خلقوا من بعدهم .

وتكليف الجن بالعبادة لم يترك من قبل الخالق عز وجل بلا تهيئة لما يحتاج من لوازم وإنما الأمر لا يختلف عما حصل للإنس من إرسال الأنبياء وتبليغهم آيات الله وتحذيرهم من الاعتزاز ببهرج الدنيا وتذكيرهم ببقاء الحساب في الآخرة وعدم ترك حجة لكافر يتعلل بها أمام الله في التبرؤ من الكفر وعدم التمسك بالحق الإلهي العظيم الذي ارتبط لزوم أدائه بإيجاد المكلفين.. يقول تعالى : « قل

: أوحى الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا: (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنَّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) (14) (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ) (15)

وانهم يفهمون كلام أهل السماء¹⁶.. يقول تعالى: (إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَجِفْطًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِقٌ) (17)

ولكنهم مهما أتيح لهم من قدرة على لمس السماء، ورغم ما أوتوه من اقتدار على فهم لغات أهل السماء والأرض، ورغم أن عالمهم غير مرئي للإنسان وعالمه مرئي لهم، فإن قدرة الجن تقف عاجزة أمام الغيب ، فهم لا يعرفون منه الا القدر الذي يسمح الله عز وجل بكشفه للخلق او لبعضهم .. يقول تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (18)

الجن مكلفون

يقول تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (19) فهذا النص القرآني يدل على أنهم قد خلقوا لغرض التكليف العبادي ، ومثلهم في هذا لا يختلف عن بني آدم الذين خلقوا من بعدهم • وتكليف الجن بالعبادة لم يترك من قبل الخالق عز وجل بلا تهيئة لما يحتاج من لوازم وإنما الأمر لا يختلف عما حصل للإنس من إرسال الأنبياء وتبليغهم آيات الله وتحذيرهم من الاعتزاز ببهرج الدنيا وتذكيرهم ببقاء الحساب في الآخرة وعدم ترك حجة لكافر يتعلل بها أمام الله في التبرؤ من الكفر وعدم التمسك بالحق الإلهي العظيم الذي ارتبط لزوم أدائه بإيجاد المكلفين يقول تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّهْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ) (20) • ولذا فان جرائمهم التي يرتكبونها في دنياهم سيتحملون أوزارها كاملة بلا إفلات وبلا فرار من قبضة الجبار القوي العزيز جل شأنه عندما يحاسب عباده يوم القيامة يقول تعالى : (سَنَقْرَعُ كَتْمَ آيَةِ النَّفْلِآنِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) .. (يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُتُوا ۗ لَا تَنْفُتُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) (21)

سنفرغ لمحاسبتكم بدقة أيها الجن والإنس، وانكم ان فررتم من أداء

اصطلاحاً

الشيطان في الاصطلاح الشرير، وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته. فهو خلق من خلق الله مكلف كالإنسان قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (28)

والشيطان: كل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب، وإن الشيء إذا استقبح شبه بالشيطان، الشيطان، لا يرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء ولو رُوي لرُوي في أقبح صورة قال تعالى: «إِنَّهَا شجرة تخرج في أصل الجحيم ** طلعتها كأنه رءوس الشيطين (29) أي في قباحتها، والشيطان نفسه إبليس، وسمي إبليس إبليس نسبة إلى كلمة أبلِس: أي ينس و ندم وأبلس من رحمة الله: أي ينس من رحمة الله وندم قال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) (30)

المطلب الثالث: إبليس لغة

إبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلِس من رحمة الله أي ينس (31). والشيطان من الجن (بالفتح) وهو الاستتار وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات نوات الشعور والإرادة مستورة عن حواسنا وهم غير الملائكة (32)

قال تعالى: (إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (33) وكان معروفاً باسم (عزرائيل) في التوراة.

وسمي الشيطان أيضاً ختاساً لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر (أي خنس وسكن ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته (34) وسمى بـ (طاووس الملائكة) لكثرة عبادته.

ومن أسماء الشيطان الغرور قال تعالى: (وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ..) (35)

وكنيته (أبو مرة)

التلبيس إظهار الباطل في صورة الحق، والتلبيس كالتدليس والتخليط واللبس الخلط، وليس عليه الامر أي اختلط عليه الأمر حتى لا يعرف جهته (36)

ومن جملة أسمائه الخبيث والمهلك والهاوية واطلق عليه انجيل يوحنا لقب (رئيس العالم ولهذه التسمية أو الصفة ما يبررها إن أريد بالعالم عالم الشر.

وفي قاموس الكتاب المقدس الشيطان كائن حقيقي، وهو أعلى شأنًا من الإنسان، ورئيس رتبة من الأرواح النجسة. أما أعوانه فهم عصابة الأرواح الساقطة وهو يوقع الناس في الخطيئة عن طريق العث والاحتتيال ويظهر بمظهر النور والتنين والصور المقبولة

حق الله عليكم في الدنيا بالتفريط فإنكم لعاجزون يوم الحساب عن الفرار في السموات والأرض وعرضهما لأن قدرة ربكم لا يفلت منها شيء.

الجن صلحاء ومردة

وكما أن بني الأنسان فيهم المحسن والمسيء بنظر المنهج الإلهي فكذلك الجن فيهم الذين استناروا بآيات ربهم فصلحوا وفيهم الذين اعرضوا عن هذه الآيات فضلوا وهم المتمرّدون ويدخل ضمنهم الشياطين. يقول تعالى: (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُفَّاءٌ طَرَائِقُ قَدَدًا)... (وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجَزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْفَاسِقُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (22) • فهذه الآيات تقرر ازدواج طبيعة الجن، أي أنهم مستعدون للهدى والضلال كما هو شأن بني آدم، ولكن باستثناء إبليس الذي تمحض للنشر فقط وتفرغ لمهام الإغواء هو وذريته « قال: (قَالَ فَيُعْرَتُكَ لِأَعْوِيَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (23) •

ويفهم من تلك الآيات أيضا أن كفارهم يعذبون بنار وصالحهم يكافؤون بنعيم الجنة، قد يقول البعض: كيف يعذبون بالنار وهم قد خلقوا من مادتها؟ ان قدرة الخالق جل وعلا تفعل ما يشاء هو ولا يهم ان استطاع البشر بعقولهم المحدودة إدراك إمكانية ذلك أو لم يستطيعوا، وان هذا الأمر لا يختلف من حيث فعل القدرة العليا عن جعل الأنسان - وهو مخلوق من مادة الأرض يتحرك ويفكر ويتكلم مثلا ...! والعقل البصير يحمل كلام الله كما هو ولا يضع الشروط لأجل قبوله كتصديق ما يسوغ منه في العقل الأدمي المحدود وعدم تصديق ما يعجز هذا العقل عن إدراكه، فهذا تعسف في الإيمان بالحقائق التي يقررها خالق الكون.

المطلب الثاني: الشيطان

الشيطان في اللغة من شطن، والنون فيه اصله أي تباعد، ومنه بئر شطون وشطنت الدار و غربة شطون. وقيل بل النون فيه زائد من شاط يشيط اي احترق غضباً فالشيطان أو إبليس من الجن و الجن مخلوق من النار كما دل عليه قول تعالى (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) : (24) وقال تعالى: (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ) (25) وقال تعالى: (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ) (26) بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة والامتناع من السجود لأدم، قال ابو عبيدة الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات: (27)

الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين، والنتيجة انه كان من الكافرين⁽⁴⁷⁾

المبحث الثاني: حدود العلاقة بين الشيطان والإنسان

التغريب بالآدميين وإضلالهم

يقول تعالى : « وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيَّتْهُمْ وَلَا مَرَّئَهُمْ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا يَعْدُهُمْ وَيُمَيِّتُهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا »⁽⁴⁸⁾ . انه تعهد شيطاني صريح العبارة مكشوف الأبعاد خسيس المرامي بأن يدأب هذا اللعين على التغريب بيني الإنسان وخداهم لأجل أن يضلوا.

والمقصود بإضلالهم هو أن يبعدهم عن منهج الله تعالى ، اعتماداً على براعته في الخداع واستناداً الى غفلة الأغرار عن عداوته وابتداء من أصغاهم لمقولاته ذات البريق فعندما يتحقق من أنهم بدأوا يصغون لوسوسته يسعى سوق الأمنيات الكاذبة كأن يعللم بطول العمر حتى يؤجلوا العمل الصالح وتبقى علاقتهم خربة مع الخالق فيحل بهم الموت وهم على هذه الحال.

الإبعاد عن الصراط المستقيم

إن إبعاد الشيطان لمنفذي توجيهاته عن منهج الله القويم كقيل وحده بأن يجعلهم يتيهون لأنهم يعدمون بذلك الموجه الحاني السديد الى سواء السبيل. والشيطان يحرص على هذا الأمر ابتداء من الأيام الأولى للوليد ، انه يحث والديه أن يطلقوا العنان لفلذة كبدهما في أن يصنع ما يحلو له دون تربيته على الالتزام بحلال أو حرام ، وأن لا يطلبوا منه التقيد بفرائض أمر الله تعالى بها لأنه غض العود الآن فلينظروا حتى يشتد ساعده فاذا شب وصار في سن التكليف أمره الشيطان بزجر والديه إن هما طالبا بالتمسك بشعائر المنهج الإلهي وإخضاع حياته كلها لمقتضياته زاعما انه ليس بطفل قاصر حتى يحتاج إرشادا من أحد وبأنه يعيش في زمن غير الزمن الذي عاش فيه الأيوان وبأنه يعرف جيدا ما يصلح له وما لا يصلح (بعقل متفتح) فالأولى أن يتبعه الأيوان فيما هو يختاره لهما لا أن يتبع هو قناعة أبوين عاشا قبله بخمسين عاما.

ولا يقف الأمر الى حد أن يعطي هذا العاق ظهره للمنهج الإلهي وإنما نراه يدأب - وهو يصغي لتوجيه الشيطان - على أن يخترع هو منهجا أو يتابع الآخرين في مناهجهم الضالة معتقدا أن هذا السلوك هو الراجح وحده في طريق الحياة.

قال : (قَالَ فِيمَا أَعُوذُ بِكَ لَأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)⁽⁴⁹⁾

للناس وتجدر الإشارة إلى ان الشيطان اسم جنس يشمل ابليس وغيره. ونحن لم نر كائناً من جنس خاص يسمى شيطانا، ولكن الوحي أخبر عنه، والعقل لا ينفيه فوجب التصديق.

اصطلاحاً:

وقد ورد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا أنه ذكر ان اسم إبليس (الحارث) وانما قول الله عزوجل يا (إبليس) يا عاصي وسمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله عزوجل (أي ينس منها)⁽³⁷⁾ . إذن من مصاديق الشيطان إبليس.

وفي الحديث أيضاً: «إذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطانا وقرن الله به ملكاً فالشيطان جائم على إذن قلبه الأيسر والملك قائم على إذن قلبه الأيمن فهما يدعوانه»⁽³⁸⁾

الفرق بين الشيطان والجن

لقد تقدم الحديث ان الشيطان لغة هو التباعد وكل شيء بعيد ومنه برّ شطون وشطنت الدار وغربة شطون، وكل عات متمرّد من الجن والدواب، وان الشيء إذا استقبح شبه بالشيطان، لا يرى ولكن يستشعر به واصطلاحاً: هو الشرير، وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته، فهو خلق من خلق الله مكلف كالإنسان وهو من الجن والجن مخلوق من النار.

قال تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)⁽³⁹⁾

وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁽⁴⁰⁾

إذن الشيطان أو إبليس بالمعنى الاصطلاحي هو من سنخ الجن و لكن الشيطان كفر، اما الجن فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك. قال تعالى: (وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا)⁽⁴¹⁾ وقالوا على انفسهم أيضاً (وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ)⁽⁴²⁾ أي منا الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك (ومنا القاسطون) أي الجائرون عن طريق الحق⁽⁴³⁾.

ولقد ذكروا أيضاً أن إبليس كان سفيهاً و نسبوه إلى انفسهم قال تعالى: «وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً»⁽⁴⁴⁾ أي ان إبليس كان جاهلاً وكان يقول على الله سبحانه باطلاً، فاعترفوا بأن إبليس كان يخرج عن الحد في اغواء الخلق و دعائهم إلى الضلال وقيل (شططاً) أي قولاً بعيداً من الحق و هو الكذب في التوحيد و العدل⁽⁴⁵⁾

ولا يفوتنا ان نذكر ان إبليس كان من الكافرين بصريح القرآن الكريم قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)⁽⁴⁶⁾ . أي انه كان كافراً في الأصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل أراد كان في علم

الأمر بالسوء والفحشاء والمنكر

والإنسان عندما يصغي للشيطان ويضل ويتمرد على المنهج الإلهي ويتخذ بديلا له يحمل الناس بكل ما يستطيع على اتباعه ماذا ينتظر منه؟

انه يتحول الى ساحة يستعرض بها الشيطان كل معاني السوء وخصال الشر (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)⁽⁵⁰⁾ (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ)⁽⁵¹⁾

خطوات يتحول بها الإنسان إلى بؤرة للسوء ونموذج يحفل بالفحشاء والمنكر.. ولو أنك جئت الى واحد من هؤلاء البائسين وأعلمته بما فعل به الشيطان حتى بلغ به ذلك المستوى من البعد عن المنهج السليم والتردي الفطيع الى الحضيض لاستغرب مما تقوله، لماذا.

لان أبا مرة اللعين في خطوات إغوائه لا يشعر الآدمي بأنه يأخذ بيديه الى الضلال وسوء العاقبة وإنما هو يزين له السبي ويقبح له الحسن ، انه تعهد أمام الله تعالى بصريح العبارة أن يضل عباده ، نعم ولكن ليس من المعقول أن يحاول تضليلهم مجاهرا بأنه لا يهديهم وإنما هو يوهمهم بأنه يقودهم في أصح المسالك الى ألد المنافع وأعز العواقب .

ولذا فانك لو حدثتهم لوجدت لديهم الكثير من (الحجج) التي بها يتشبهون وبها يستطيعون رغم أنها ذات طلاء واه تتهافت أمام نور الله الذي يملأ بصيرتك.

الصد عن ذكر الله

أن ذكر الله تعالى نور تتجلي به الظلمات، فاذا توغل في الأعماق واتسع مداره وانداح بعيدا على الجوانب فإنما هو بذلك يفسد على الشيطان تدبيره ويهدم ما بناه

ولذا يحرص الشيطان بكل ما يستطيع من مكر وخداع يشتي الأساليب على صرف الناس عن ذكر الله تعالى، وتمثل الصلاة أهم حالات الذكر فمن أصغى للشيطان تولى نسج الغلالات على قلبه لنلا يتحسس ذكر الله وراح يربط حواسه جيدا بكل ما يتعارض مع الذكر كعدم المبالاة واللهو والفسافس.

ومن لم يصغ للشيطان لا يئأس هذا منه، وإنما يدأب بكل أساليبه بصرفه عن الذكر أو على الأقل أن يشوش عليه ويجعل مردود الاتصال القلبي بالله تعالى ضعيفا قدر ما يستطيع.

والمحاولات الرتيبة المستمرة التي يبذلها الشيطان دائما تتبين واضحة فيما يحاوله من إغرائه ليصرفه عن العبادة أو يؤخره عن

أدائها ويجتهد تماما لينسيه القيام بها أو إثارة المشاغل في نفسه عند أدائها ليصرفه ما أمكن عن التفرد لها .. فيبدأ الشيطان منذ اللحظة الأولى التي يحاول الإنسان القيام فيها ليؤدي صلاة الفجر فيزين له النوم ويغريه بالاستمرار فيه ولو لعدة دقائق فمزال الوقت متسعا ويسمح لفترة أخرى من النوم الى أن ينام الإنسان وتشرق الشمس واذا تغلب الإنسان على الشيطان ولم يصبه النوم عاد اليه ناصحا بالتأخير لحظات حتى تنكسر حدة البرد ، فالبرد شديد والدفع جميل والدين يسر ، وان كان الصيف زين له الانصراف عن القيام بطريقة أو أخرى ولسبب أو غيره وفي صلاة الظهر كذلك ، وفي صلاة العصر يصور له نفسه المتخمة بالأكل أو المجهدة من العمل ويدفعه إلى التمهل والتريث لحظة و لحظات حتى تغرب الشمس ، وفي صلاة المغرب يلهيه بمختلف الوسائل وشتى الأسباب وما أيسر أن يشغله عن صلاة المغرب في وقتها .. أما في العشاء فكرر ما بدأه في الصباح وما استمر عليه في الأوقات كلها محاولات لتأجيلها عن طريق البرد الشديد والأغراء بالنوم ولو فترة ينهض بعدها للصلاة ، وطالما دخل الإنسان الفراش ونام فتهيأت ان ينهض بعدها للصلاة ، وكثيرا ما يتغلب الإنسان على هذه المحاولات السانجة من الشيطان بصرفه عن الصلاة في وقتها فاذا وجدته مصرا عليها محافظا على أدائها بوقتها فانه يلجأ الى حيل أخرى ويعمد الى وسائل مختلفة.

فعندما يتوضأ يشككه في وضوئه، وهل أتمه كما يجب أم يعود للتوضؤ مرة أخرى، واذا هم للصلاة بوضوئه أقامها بغير اطمئنان من وضوئه، ويلجأ الى وسيلة واحدة يحاولها مع كل المصلين فبمجرد إقامة الصلاة يوسوس الشيطان للإنسان بكل مشاكله ويوجهه الى كل متاعبه ويشحن عقله بكل ما يشغله، وما ذلك إلا ليلهيه عن التفرد للصلاة والاطمئنان فيها والتجرد لها⁽⁵²⁾

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)⁽⁵³⁾

الاستحواذ على الآدميين

ويرمي الشيطان بكل أضراليه وما تتطوي عليه من المكر والخداع الى أن يغدو مستحواذا على الآدميين بمعنى أن يسيطر على أكبر طائفة منهم فيجعلها خاضعة في كل شأنها لتوجيهاته تمضي حيثما يشير وتحقق له كل ما يريد من أغراض خبيثة.

قال: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِنُؤْنِ أَعْرَتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

لَأَحْتَبِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (54)

انه تعهد شيطاني معلن منذ البداية محدد الأهداف بجلاء، تعهد أهوج بأن يمضي الشيطان الى آخر شوط الضلال جارفا معه كل من يصغي له وينخدع به، تعهد أذن الله تعالى لقائله أن يتصرف، لماذا؟ لان الأجراء الشيطاني سيكون أحد عناصر الابتلاء الإنساني أثناء الاستخلاف في الأرض، ولان الله تعالى توعد الشيطان وأتباعه جهنم وبئس المصير.

(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ؕ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ؕ أُولَٰئِكَ جِزْبُ الشَّيْطَانِ ؕ أَلَا إِنَّ جِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (55)

خذل الإنسان وإذلاله

والشيطان في كل أفاعيله ضد بني الإنسان الرامية الى الاستحواذ على الأدميين إنما يريد أن يرى الغواة المخدوعين يجللهم ذل المعصية ويحقيق بهم العذاب ويضمهم أسوأ مصير يعانون حالة الخذلان أمام الله تعالى.

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) (56)

ويا للخذلان الفظيع عندما يمضي الإنسان أطول فترة قد تستغرق كل عمره يصغي خلالها لتوجيهات خليل على أساس أنه ناصح يشير عليه بما ينبغي له أن يفعل في كبير شؤونه وصغيرها ثم يكتشف أخيرا تخلي هذا الصديق المزعوم عنه ليعاني الانحدار الى اعماق هاوية وأبشعها. اذا تخلى عن الأدمي أقرب خلانه في وقت الضيق والشدة فماذا يتبقى له عندئذ من ملاذ وهو يعيش الخذلان بأقسى صورته وأسوأ مواقفها!

حدود لا يتجاوزها الشيطان

يقول تعالى: (إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَائِقِبٌ) (57)

الشيطان مفسد واعطي شيئا من حرية التصرف ولكن هناك حدودا

لا يستطيع مد إفساده اليها .

لو أنه استطاع استراق السمع في السماء ومعرفة ما يدور في الملأ الأعلى لراح يسخر المعلومات العلوية ليس في المزيد من التظليل فحسب وإنما لصار قادرا على الادعاء بأنه يعلم الغيب وأن له سلطانا في الكون يشبه سلطان الاله.

فالكلام السماوي محرم على الشياطين التقاطه ومن تسمع منهم شيئا فانه لا يقلت به من الرجم والحرق بالنار إذ ينقض عليه شهاب يدمره تماما وله في الآخرة عذاب أشد وأبقى.

إن وظيفة الشيطان التي ارتضاها ليس مجالها الأفق السماوي المخصص للملأ الأعلى، أنها تقع في الأرض وحواليها فعليه إن يدور في فلكها حيث العالم السفلي ولا يذهبن به الغرور الى أنه متروك انه أراد لا محاولة إغواء البشر فسمح له بها مع التوعد بملاء جهنم من المردة وأتباعهم، أما أن يتصرف كما يحلو له في كل اتجاه فهذا أمر لا يمكن لأنه خاضع لتقدير الاله العزيز الحكيم وحده.

انهم عن الوحي معزولون

وكذلك الوحي النازل من عند الله تعالى، انه محفوظ من اطلاع الشياطين عليه، فهو غيب أولا ويتضمن ثانيا منهج التكليف الإلهي لأهل الأرض فيما يراد منهم أن يفعلوه أثناء دنياهم .

ان الوحي يمثل العنصر الأعظم في ابتلائنا فوق الأرض الذي يحذ الله تعالى له أن يتمخض عن أجدى النتائج لعباده فكيف لا يعزل المردة عن استباق نزوله وهم قد أخذوا على عاتقهم مهمة صرف الناس عن التمسك بهذا الوحي.

يقول تعالى : (وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعزُولُونَ) (58)

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله (وما نزلت به الشياطين)، ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونور وهدى وبرهان عظيم فيبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ، ولهذا قال تعالى : « وما ينبغي لهم ، وقوله تعالى : « وما يستطيعون ، أي ولو بغى لهم لما استطاعوا ذلك ، قال الله تعالى : (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (59)

آيات الله المصاحبة للرسالات فان جهنم جزاؤكم ، أنت وتابعوك (جزء موفورا) واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخلك وهو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول ، فهي المعركة الصاخبة تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات ، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة أو يستدرجهم للفخ المنسوب والمكيدة المدبرة ، فاذا استدرجوا الى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال.

(وشاركهم في الأموال والأولاد) وهذه الشركة تتمثل في أوام الوثنية الجاهلية اذ كانوا يجعلون في أموالهم نصيبا للآلهة المدعاة - فهي للشيطان - وفي أولادهم نذورا للآلهة أو عبيدا لها - فهي للشيطان - كعبد اللات وعبد مناة، وأحيانا كانوا يجعلونها للشيطان رأسا كعبد الحارث.

كما تتمثل في كل مال يجبي من حرام أو يتصرف فيه بغير حق أو ينفق في إثم ، وفي كل ولد يجيء من حرام ففيه شركة للشيطان .. والتعبير يصور في عمومه شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة.

وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها ، ومنها الوعود المغرية الخادعة : (وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص ، والوعد بالغنى من الأسباب الحرام والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة ولعل أشد الوعود أغراء الوعد بالعمو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة ، الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة ، فيتلف حينئذ الى تلك النفوس المترجعة ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها سعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة . (65)

سلطانه على من؟

يقول تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَالِبِينَ) (66) انه قانون الهي، فالعباد المعتصمون بحمي الله عز وجل ليس للشيطان تأثير يززعهم ولا سلطان له عليهم يتجهون في ظله حيثما يشير فهم حتى عندما يكون بفعل غفلة يستغلها أبو مرة لا يستسلمون لسلطانه ولا يرضخون وإنما يستدركون خطاهم بالتوبة واستغفار ربهم معاودين السير في الطريق القويم.

أما الذين ألقوا زمامهم بيد الشيطان فهم الذين يملك أن يمارس سلطانه فيهم مطمئنا بأن مشورته مهما تكن مرارتها وسوء عاقبتها لا ترد عليه بالرفض وانما تستلم من هؤلاء وكأنها أمر مقدس. والأمر كما ترى ليس فيه إيجاب: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ

ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا الى ذلك لانهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين الى استماع حرف واحد منه لنلا يشتهب الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه وتأبيده لكتابه ولرسوله (60)

انهم عجزوا عن معرفة غيب أقل مرتبة من ذلك وهو موت النبي سليمان(ع) الذي كان معلوما للملائكة الذين قبضوا روحه فمن الطبيعي أن يكونوا أي الشياطين أشد عزلة عما اقتصر علمه على الله عز وجل⁶¹.

يقول تعالى : (فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) (62)

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (63)

المدى المتاح لفعل الشيطان

صحيح أن إبليس تمرد على الأمر الإلهي فاستحق الطرد من الملاء الأعلى ، وصحيح أنه استمهل ربه في إغواء بني آدم فأذن له ، غير أن هناك مدى حدد له ليتحرك في نطاقه لا يستطيع أن يتخطاه فالإنسان مزود من خالقه باستعداد للهدى والضلال وله من المدارك والحواس ما يعينه على تفضيل طريق الخير على طريق الشر فضلا عن توفر المنهج الإلهي القويم الذي يعصم المستجير به .

وهناك أيضا الردع الإلهي بأشد العقاب وأدومه فالتصرف الشيطاني مهما يبلغ أوجه لا يستطيع أن يمس مرامي الحكمة العليا ولا يستطيع أن ينشر خرابا في الوجود كما يشتهي إبليس وذريته وخارج الحدود المسموح بها .

قال تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ أذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا 63 وَاسْتَفْزَزَ مِنِّي اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) (64)

اذهبح فحاول محاولتك ، اذهب مأذونا في إغوائهم ، فهم مزودون بالعقل والإرادة ، يملكون أن يتبعوك أو يعرضوا عنك (فمن تبعك منهم) مغلبا جانب الغواية في نفسه على جانب الهداية معرضا عن نداء الرحمان الى نداء الشيطان غافلا عن آيات الله في الكون

سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِيْ فَلَا تَلُومُوْنِيْ وَلُومُواْ أُنْفُسَكُمْ (67)

كل سلطانه هو أن دعاهم فاستجابوا رسل الله دعوههم الى خير الدنيا والآخرة ذاكرين لهم أقوى الحجج وأصدق البراهين فوقوا منهم موقف التكذيب والاستكبار والإعراض، أما الشيطان فدعاهم الى السوء وأوخم العواقب في الدنيا والآخرة بدون أي حجة أو دليل فأجابوه كالعَميان.

(قَرِيْبُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيْدٍ) (68) انه جواب على القائل : (لَقَدْ أَضَلَّنِيْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِيْ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُوْلًا) (69) فيقول لهما الله تعالى: (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيْدِ) (70)

والضالون لفرط غفلتهم لا يحسبون أحياناً أن هناك شيطانا ينفث في مواطنهم سموه ، وإنما هم يعتقدون أنهم يأخذون خطراته التي يشير فيها عليهم بما يفعلون على أنها شيء نابع من النفس يعبر عن مصالح الذات بشكل جيد و بكل الاهتمام والحرص.

ان حاجز عقيدة الإسلام يصنع في النفس الإنسانية العجائب، فبينما نرى كثرة ممن باعوا أنفسهم رخصة للشيطان يصل بهم الهوان الى حد التفریط بكل شيء نفيس من أجل حفات من المتاع الفاني نجد في المقابل نماذج ممن باعوا أنفسهم الله تعالى تعرض عليهم الدنيا بقسط وافر وزاه لأجل موقف واحد فقط يخدمون به أيمانهم فيأبون بكل عز وكبرياء ومنعة حتى لو كلفهم الأمر التضحية بأرواحهم التي ان فارقت الدنيا لا تعود اليها ثانية.

أسطورة الصلة بين الله وبين الجن

قال تعالى : بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللّٰهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِیْنٌ فَأْتُوا بِكِتٰبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِیْنَ) (71)

يوجه الله سبحانه وتعالى في هذا الشوط من السورة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أن يناقش مع المشركين الكافرين تلك الأسطورة التي يزعمون فيها أن الملائكة بنات الله ، والأسطورة الأخرى التي يزعمون فيها أن بينه سبحانه وبين الجنة نسباً ، وأن يواجههم بما كانوا يقولونه قبل أن تأتيهم هذه الرسالة من تمنيمهم أن يرسل الله فيهم رسولاً ، ومن أنهم على استعداد للهدى لو جاءهم رسول ،

وكيف كفروا عندما جاءهم الرسول .. وتختتم السورة بتسجيل وعد الله لرسله أنهم هم الغالبون ، وبتنزيه الله سبحانه عما يصفون ، والتوجه بالحمد رب العالمين. إنه يحاصر أسطورتهم في كل مساربها ، ويحاجهم بمنطقهم ومنطق بيئتهم التي يعيشون فيها ، وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات ، ويعدون ولادة الأنثى محنة ، ويعدون الأنثى مخلوقاً أقل رتبة من الذكر ، ثم هم الذين يدعون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله⁷² .

فهو هنا يستطرد معهم وفق منطقهم ، ويأخذهم به ليروا مدى تهافت الأسطورة وسخفها حتى بمقاييسهم الشائعة : (فاستفتهم ألبك البنات ولهم البنون) ؟

أنذا كان الإناث أقل رتبة كما يدعون ، جعلوا لربهم البنات واستأثروا هم بالبنين ؟ أو اختار الله البنات وترك لهم البنين ؟ إن هذا أو ذاك لا يستقيم ! فاسألهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم . - واستفتهم كذلك عن منشأ الأسطورة كلها ، من أين جاءهم علم أن الملائكة إناث ؟ وهل هم شهدوا خلقهم فعرفوا جنسهم ؟ (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) ؟

ويستعرض نص مقولتهم المفتراة الكاذبة على الله:

(ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون)

وهم كاذبون حتى بحكم عرفهم الشائع ومنطقهم الجاري في اصطفاة البنين على البنات ، فكيف اصطفى الله البنات على البنين؟ (اصطفى البنات على البنين) !

ويعجب من حكمهم الذي ينسون فيه منطقهم الجاري : (مالكم كيف تحكمون ، أفلا تذكرون) ..

ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعم⁷³ ؟

(أم لكم سلطان مبين ، فأتوا بكتابتكم إن كنتم صادقين)؟

والأسطورة الأخرى ، أسطورة الصلة بينه سبحانه وبين الجن :

(وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لحاضرون) وكانوا يزعمون أن الملائكة ، هم بنات الله بزعمهم ولدتهم له الجن ! وذلك النسب والقرابة ! والجن تعلم أنها خلق من خلق الله وأنها محضرة يوم القيامة بإذن الله ، وما هكذا تكون معاملة النسب والصهر !

وباطنه ! فمن منفذ الاستمتاع دخل إليهم الشيطان ! وكانت الشياطين تستمتع بهؤلاء الأغرار الأغفال كانت تستهويهم وتعبث بهم ، وتسخرهم لتحقيق هدف إبليس في عالم الإنس ! وهؤلاء الأغرار المستخفون يحسبون أنه كان استمتاعاً متبادلاً ، وأنهم كانوا يتمتعون فيه ويتمتعون ! ومن ثم يقولون

(ربنا استمتع بعضنا ببعض) !

ودام هذا المتاع طوال فترة الحياة ، حتى حان الأجل ، الذي يعلمون اليوم فقط أن الله الذي أمهلهم إليه ، وأنهم كانوا في قبضته في أثناء ذلك المتاع : (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا)!

عند ذلك يجيء الحكم الفاصل ، بالجزاء العادل : (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله)

فالنار مثابة ومأوى ، والمثوى للإقامة ، وهي إقامة الدوام .. (إلا ما شاء الله) لتبقى صورة المشيئة الطليقة هي المسيطرة على التصور الاعتقادي ، فطلاقة المشيئة الإلهية قاعدة من قواعد هذا التصور ، والمشيئة لا تنحبس ولا تتقيد ، ولا في مقرراتها هي : (إن ربك حكيم عليم) يمضى قدره بالناس عن حكمة وعن علم ، ينفرد بهما الحكيم العليم وقبل استئناف الحوار لإتمام المشهد ، يتحول السياق للتعقيب على شطر المشهد المنتهى : (وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) .

يمثل هذا الذي قام بين الجن والإنس من ولاء، ويمثل ما انتهى إليه هذا الولاء من مصير يمثل ذلك ، وعلى قاعدته ، نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ، نجعل بعضهم أولياء بعض ، بحكم ما بينهم من تشابه في الطبع والحقيقة ، وبحكم ما بينهم من اتفاق في الوجهة والهدف ، وبحكم ما ينتظرهم من وحدة في المصير.

وهو تقرير عام أبعد مدى من حدود المناسبة التي كانت حاضرة، إنه يتناول طبيعة الولاء بين الشياطين من الإنس والجن عامة، فإن الظالمين - وهم الذين يشركون بالله في صورة من الصور يتجمع بعضهم إلى بعض في مواجهة الحق والهدى، ويعين بعضهم بعضاً في عداة كل نبي والمؤمنين به ، طينة واحدة - مهما اختلفت الأشكال إنهم فضلاً على أنهم أصحاب مصلحة واحدة ، تقوم على اغتصاب حق الربوبية على الناس ؛ كما تقوم على الانطلاق مع الهوى بلا قيد من حاكمية الله .

ونحن نراهم في كل زمان كتلة واحدة يساند بعضهم بعضاً - على

وهنا ينزه ذاته سبحانه عن هذا الإفك المتهافت : (سبحان الله عما يصفون)

استمتاع الجن بالإنس والإنس بالجن

قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْتَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالِ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) . (74)

بعد أن عرض شياطين الإنس والجن، الذين قضوا الحياة يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وخداعاً وإضلالاً، ويقف بعضهم بعض عدواً لكل نبي ، ويوحى بعضهم إلى بعض ليجادلوا المؤمنين في ما شرع الله لهم من الحلال والحرام ؛ يعرضهم في مشهد شاخص حى ، حافل بالحوار والاعتراف والتأنيب والحكم والتعقيب ، فائض بالحياة التي تذخر بها مشاهد القيامة في القرآن : (ويوم يحشرهم جميعاً)

إن المشهد يبدأ معروضاً في المستقبل ، يوم يحشرهم جميعاً .. ولكنه يستحيل واقعاً للسامع يترأى له مواجهة ، وذلك بحذف لفظة واحدة في العبارة ، فتقدير الكلام ، (ويوم يحشرهم جميعاً) فيقول : (يا معشر الجن قد استكترتم من الإنس ..) ولكن حذف كلمة - يقول - ينتقل بالتعبير المصور نقلة بعيدة ، ويحيل السياق من مستقبل ينتظر إلى واقع ينظر ! وذلك من خصائص التصوير القرآني العجيب فلنتابع المشهد الشاخص المعروض :

(يا معشر الجن قد استكترتم من الإنس) !

استكترتم من التابعين لكم من الإنس ، المستمعين لإيحاءكم ، المطيعين لوسوستكم ، المتبعين لخطواتكم .. وهو إخبار لا يقصد به الإخبار فالجن يعلمون أنهم قد استكثروا من الإنس ! إنما يقصد به تسجيل الجريمة - جريمة إغواء هذا الحشد الكبير الذي نكاد نلمحه في المشهد المعروض -! ويقصد التأنيب على هذه الجريمة التي تتجمع قراننها الحية في هذا الحشد المحشود ! لذلك لا يجيب الجن على هذا القول بشيء ، ولكن الأغرار الأعمار من الإنس المستخفين بوسوسة الشياطين يجيبون : (وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) 75 !

وهو جواب يكشف عن طبيعة الغفلة والخفة في هؤلاء الأتباع ، كما يكشف عن مدخل الشيطان إلى نفوسهم في دار الخداع .. لقد كانوا يستمتعون بإغواء الجن لهم وتزيينه ما كان يزين لهم من التصورات والأفكار المكابرة والاستهتار ، ومن الإثم ظاهره

وقوله تعالى في قصة سليمان (عليه السلام): (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ..) إلى قوله: (مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ)⁽⁷⁹⁾... وقد جعل في ذلك ما أمرهم به من طاعة سليمان عليه السلام، وقد قال تعالى عن الجن: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) ... إلى قوله: (وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ)⁽⁸⁰⁾... فأمرُوا بلجاجة داعي الله، الذي هو الرسول، والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان، كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁽⁸¹⁾..

وقوله تعالى: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ)⁽⁸²⁾.. وأخبر أنه يملؤها منه ومن أتباعه وهذا يبين أنه لا يدخلها إلا من اتبعه، فعلم أنّ من يدخلها من الكفار والفساق من أتباع إبليس، ومعلوم أن الكفار ليسوا بمؤمنين، ولا عارفين الله معرفة يكونون بها مؤمنين. ولكن اللام لبيان الجملة الشرعية، المتعلقة بالإرادة الشرعية، كما في قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ⁽⁸³⁾.. وقوله تعالى: - يريد الله ليبين لكم وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)⁽⁸⁴⁾.. وهذا كقوله تعالى: (ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)⁽⁸⁵⁾. أي خلق قوما للاختلاف، وقوما للرحمة، وقال: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس)⁽⁸⁶⁾.. فاللام في قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)⁽⁸⁷⁾.. وإن كانت هي اللام في هذه الآية فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده، ولهذا تنقسم في كتاب الله إلى إرادة دينية، وإرادة كونية، كما تنقسم في كتاب الله تعالى الكلمات، والأمر والحكم والقضاء والتحرير والإذن، وغير ذلك.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد واله الطيبين الطاهرين.

الهوامش

(1) عالم الجن والملائكة : ١٣.

(2) آدم : 134-137 فقرات مختارة.

(3) سورة الرحمن: 14-15.

(4) سورة الصافات: 97-98.

(5) سورة الانبياء: 69.

(6) سورة الجن: 6.

ما بينهم من خلافات وصراع على المصالح - إذا كانت المعركة مع دين الله ومع أولياء الله.. فبحكم ما بينهم من اتفاق في الطينة، واتفاق في الهدف يقوم ذلك الولاء .. وبحكم ما يكسبون من الشر والإثم تتفق مصائرهم في الآخرة على نحو ما رأينا في المشهد المعروض!

النتائج

أن وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من راهم، وفيهم من رأى من راهم، وثبت ذلك عنده بالخبر واليقين ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم: وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به والجان المؤمنين مأمورون بأعمال زائدة على التصديق، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحرير، وهذا مالم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين وكذلك لم يتنازعو أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار، كما يدخلها من الآدميين، لكن تنازعو في أهل الإيمان منهم، فذهب الجمهور إلى أنهم يدخلون الجنة، ومنهم من قال: أنهم يكونون في رياض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم. وذهب طائفة - إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كاليهائم، ويكون ثوابهم النجاة من النار، وهل فيهم رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟ على قولين: فقيل: فيهم رسل لقوله تعالى: (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ..)⁽⁷⁶⁾ وقيل: الرسل من الإنس، والجن فيهم النذر، وهذا أشهر، فإنه أخبر عنهم باتباع دين محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأنهم (ولوا إلى قومهم منذرين - قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى)⁽⁷⁷⁾...

وقوله تعالى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) - إلى قوله: (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)⁽⁷⁸⁾.. فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله، والعقوبة إنما تكون على ترك مأمور أو فعل محظور وليس هو هنا التصديق وأيضاً فيلبيس الذي هو أبو الجن، لم تكن معصيته تكذيباً، فإن الله أمره بالسجود، وقد علم أن الله أمره، ولم يكن بينه وبين الله رسول يكذبه، ولما امتنع عن السجود لأدم عاقبه الله العقوبة البليغة.

- (7) سورة الرحمن:7.
- (8) سورة الكهف:50.
- (9) سورة الحجر:26-27.
- (10) سورة النمل:38-39.
- (11) سورة النمل:16.
- (12) سورة ص:39.
- (13) سورة الجن:8-9.
- (14) سورة الحن:1-2.
- (15) سورة الأحقاف:29-30.
- (16) الجامع لأحكام القرآن الكريم:4، 205.
- (17) سورة الصافات:6-10.
- (18) سورة الجن:26-27.
- (19) سورة الذاريات:56.
- (20) سورة الأنعام:13.
- (21) سورة الرحمن:33.
- (22) سورة الجن:11-15.
- (23) سورة ص:82-83.
- (24) سورة الكهف:50.
- (25) سورة الرحمن:15.
- (26) سورة الحجر:27.
- (27) معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم:267 - 268.
- (28) سورة الذاريات:56.
- (29) سورة الصافات:65.
- (30) سورة النور:12.
- (31) لسان العرب:7، 482.
- (32) الميزان في تفسير القرآن:7، 321.
- (33) سورة الاعراف:27.
- (34) الميزان في تفسير القرآن:20، 397.
- (35) سورة فاطر:5.
- (36) لسان العرب:4، 147 - 148.
- (37) في ظلال الصحيفة السجادية:164.
- (38) معاني الأخبار:139.
- (39) سورة الكهف:50.
- (40) سورة الذاريات:56.
- (41) سورة الجن:11.
- (42) سورة الجن:14.
- (43) مجمع البيان:5، 10.
- (44) سورة الجن:4.
- (45) مجمع البيان:10، 555.
- (46) سورة البقرة:34.
- (47) مجمع البيان:4، 191.
- (48) سورة النساء:118-120.
- (49) سورة الاعراف:16.
- (50) سورة النور:21.
- (51) سورة البقرة:169.
- (52) عالم الجن والملائكة:47-46.
- (53) سورة المائدة:61.
- (54) سورة الإسراء:62-63.
- (55) سورة المجادلة:18-19.
- (56) سورة الفرقان:27-29.
- (57) سورة الصافات:6-10.
- (58) سورة الشعراء:210-212.
- (59) سورة الحشر:22.
- (60) تفسير القرآن العظيم:7، 349.
- (61) تفسير من هدى القرآن:17، 232.
- (62) سورة سبأ:14.
- (63) سورة الجن:26-27.
- (64) سورة الإسراء:62-64.
- (65) في ظلال القرآن:343.
- (66) سورة الحجر:41-42.
- (67) سورة إبراهيم:22.
- (68) سورة ق:10.
- (69) سورة ق:28-29.
- (70) سورة ق:27.
- (71) الصافات:149 - 159.
- (72) مجمع البيان:4، 262.
- (73) تيسير التفسير:2، 392.
- (74) سورة الأنعام:129-128 0.
- (75) تفسير القرآن الكريم:5، 194.
- (76) سورة الأنعام:130.
- (77) سورة الأحقاف:29 - 30.
- (78) سورة الأنفال:48.
- (79) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:2، 284.
- (80) سورة الأحقاف:32.

- الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن محمد بن المفضل، معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم، طبعة قم - ايران.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، اسماعيليان، الطبعة الخامسة، قم - ايران.
- سيد قطب، ابراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت -2019.
- الهيثمي، ابو الحسن نور الدين علي بن ابي بكر بن سلمان، مجمع الزائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي- القاهرة، 1994م- 1414هـ.
- القطان، ابراهيم بن ياسين، تيسير التفسير، ط1، دار العلم، عمان، 1982.
- المدرسي، السيد محمد تقى، تفسير من هدي القرآن الكريم، دار القارئ- بيروت، ط2، 1409هـ.
- القرطبي أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2 1384 هـ - 1964م.

- (81) سورة الذاريات : 56.
- (82) سورة ص : 85.
- (83) سورة البقرة : 185.
- (84) سورة النساء : 26
- (85) سورة هود: 118-119.
- (86) سورة هود : 118 - 119
- (87) سورة الأعراف : 179.

المصادر

خير ما نفتح به القرآن الكريم

- الخولي، نجا أبراهيم، آدم عليه السلام، الطبعة الثانية عام1960م ، الناشر مكتبة وهبة في القاهرة.
- القرشي، عماد الدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي.
- عبد الرزاق، نوفل، عالم الجن والملائكة، الطبعة الثانية عام1973م ، الناشر دار الكتاب العربي في بيروت.
- مغنية، محمد جواد، في ظلال الصحيفة السجادية، دار المعارف، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ابن، 630-711هـ ، مؤسسة التريخ العربيين الطبعة الثالثة 1413هـ، بيروت -لبنان.
- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الاولى 1406هـ، دار المعارف - بيروت.
- الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، معاني الاخبار، تحقيق علي اكبر غفاري - بيروت، دار المعرفة1399 هـ.ق.